

قلت ان اهداف المشروع الثلاثة لم تسر جنباً الى جنب لان الاسبقية في المشروع كانت لحل المشكلة اليهودية . ولكن بعد أن اعرض اليهود عن التجاوب مع المشروع ، انصب جهد الحكومة السوفياتية على تهيئة تلك المنطقة لاضراض استراتيجية ودفاعية .

تبقى نقطة اخيرة أرى انه من المهم للتركيز عليها وهي موقف الصهيونية من المشروع . وبالرغم من أن الكاتب يغرد فصلاً خاصاً لعرض آراء الذين وقفوا ضد المشروع ، فان هذا العرض لم يأت ضمن اطار محدد يعرض فيه تأثير هذه المعارضة في نتائج المشروع ومدى قدرة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي في التأثير على اليهود .

لماذا عارضت الصهيونية المشروع ؟ وما هي الاهداف التي كانت تتوصلها ؟ . لقد دحض الكثير من الكتاب السوفيات ، اليهود منهم وغير اليهود ، مزاعم الصهيونية واعتبروا ان هذه الحركة رجعية وبورجوازية صغيرة تهدف الى تحويل اهتمام الجماهير اليهودية عن النضال الطبقي الذي كان بنظر الصهيونية الوسيلة المثلى لانقاذ البروليتاريا اليهودية ، بينما هو في الحقيقة وسيلة توفّر للبورجوازية اليهودية الأوروبية الطاقة البشرية لتحقيق اطماعها على أرض فلسطين .

لقد تمكن المؤلف من عرض مشروع بيروبيجان عبر سلسلة من الأرقام والوقائع والكتابات والتصريحات الصادرة في الاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع . وهو قد استفاد من عمله كممثل للعراق في الاتحاد السوفياتي لمدة ثلاث سنوات لتقديم هذه المادة التي يعرف عنها القارئ العربي القليل . الا ان الكتاب قد افتقر الى عنصر اساسي الا وهو غياب دراسة واضحة ، ولو محدودة ، للأسباب التي جعلت التجربة الصهيونية تنجح في استقطاب اليهود الى فلسطين بينما فشلت سلطات الاتحاد السوفياتي في اجتذابهم الى بيروبيجان . ومع أن الكاتب قد قدم صورة تاريخية لوضع اليهود في الانتداب السوفياتي ووقائع بيروبيجان ، الا ان معلوماته جاءت بهدف « العرض التاريخي » والتعريف بتجربة بيروبيجان . ولو أنه افرد فصلاً خاصاً في نهاية كتابه يحلل فيه واقع يهود الاتحاد السوفياتي ورفضهم لمشروع بيروبيجان وحماهم الان للهجرة الى اسرائيل ، لاضاء بذلك الطريق حول هذا الموضوع الهام .

جورج ابي شاهين

وقد استهدفت الحكومة السوفياتية من مشروع بيروبيجان ثلاثة اهداف رئيسية : حل المسألة اليهودية في الاتحاد السوفياتي وكسب عطف يهود العالم ، وتوطين الشرق الاقصى السوفياتي لاعتبارات استراتيجية واقتصادية . وقد فشلت تجربة بيروبيجان في تحقيق الهدفين الاولين وقد كان واضحاً في نهاية عام ١٩٢٨ حيث لم يبق في بيروبيجان اكثر من عشرين الف يهودي اي ما يقارب عشرة بالمئة من مجموع سكان المقاطعة التي تتكون اغلبيتهم من الاوكرانيين . وقد منحت المقاطعة صفة « يهودية » رغم ان اكثريتها ليست يهودية ، من أجل تشجيع الهجرة اليها .

أما الهدف الثالث فقد نجحت فيه الحكومة السوفياتية هادفة الى استغلال اراضي الجزء الاسيوي من الدولة ، ولاهداف عسكرية اخرى تتعلق بخطط التهوين والكثافة السكانية في حال تعرض تلك المنطقة لغزو خارجي .

ان الاهداف الثلاثة للمشروع كما وضعته السلطات السوفياتية لم تسر جنباً الى جنب منذ البداية . فلم يكن هدف المشروع ، في عقل الذين وضعوه ، حل مشكلة الجزء الاسيوي من الاتحاد السوفياتي القليل السكان ، بقدر ما كان حل المشكلة اليهودية . والجدير بالذكر ان اختيار منطقة بيروبيجان قد تم بعد سلسلة محاولات لتوطين اليهود في جنوب اوكرانيا وفي شبه جزيرة القرم مع ما رافق ذلك من انشاء منظمات خاصة لهذا الغرض . ولم تشعر السلطات السوفياتية بالارتياح لتوطين اليهود في المزارع التعاونية في اوكرانيا والقرم لان هذه المزارع اصبحت مراكز للدعاية الدينية ، ولان الفلاحين هناك قد شعروا بالغيرة من جراء هذا التمييز . لذلك اتجهت الانتظار صوب بيروبيجان . اصف الى ذلك ان ستالين أخذ يشعر بعدم الاطمئنان الى ولاء اليهود التام للاتحاد السوفياتي وقد وجد من الامضل عدم تركيز اليهود في منطقة استراتيجية مثل اوكرانيا او القرم . وسبب ذلك الدعاية الصهيونية المضادة والتي أخذت تنتشر بين يهود الاتحاد السوفياتي ووجود بؤر صهيونية فيها مثل جماعات « عشاق صهيون » التي أنتشرت فروعها في جميع المناطق التي كان يوجد فيها اليهود وكان رئيسها « ليو ينسك » مؤلف كتاب « التحرير الذاتي » ورائد الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا في شكلها الحديث .